الدولة العباسية في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي

د. مُحَّد علي مُحَّد إسماعيل
كلية الآداب – جامعة مصراتة

توطئة:

يتناول هذا البحث فترة مهمة من فترات التاريخ الإسلامي على وجه العموم والتاريخ العباسي على وجه الخصوص، كونه يسلط الضوء على الأحوال العامة للخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، قبل وبعد مجيء البويهيين إليها، ومادفعني للكتابة في هذا الموضوع الجدل حول هذه الفترة، هل هي عصر ذهبي كما وصفها عدد لابأس به من المستشرقين مثل آدم متز وزغريد هونكه وتوماس أرنولد أم حكم مذهبي ظالم كما رأها كثير من المؤرخين القدامى مثل مسكويه وابن الجوزي وابن الأثير وغيرهم، وسيكون المنهج المتبع بإذن الله في هذا البحث المنهج التاريخي السردي التحليلي، الذي سأعتمد فيه على عدد من المصادر الأصيلة التي عاصرت الفترة المقصودة من الدراسة، ككتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم لمسكويه المتوفى سنة (421هـ-1030م) وهو كتاب مشهودٌ له بالموضوعية والحيادية يالرغم من كاتبه كان شيعي المذهب مثله مثل بني بويه المسيطرين في تلك الفترة، فلقد عاش المؤرخ مسكويه في بلاطهم وعرفهم عن كثب، ومن المصادر كذلك كتب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي المتوفى سنة (346هـ-956م) والكامل في التاريخ لعز الدين ابن الأثير المتوفى سنة (630هـ-1232م) وهما من المصادر المشهورة في التاريخ الإسلامي، إضافة إلى غيرها من المصادر والمراجع.

أولا: أحوال الخلافة قبل مجيء البويهيين

استمرت معاناة الدولة العباسية مع بداية القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي،على كافة الأصعدة، ويرجع سبب هذه المعاناة إلى تولي خلفاء صغار السن، تحكم فيهم القادة والجنود الأتراك ونساء القصر، وخير مثال على هؤلاء الخليفة المقتدر الذي حكم لمدة ربع قرن،

حيث تولى الحكم وعمره لم يتجاوز إحدى عشرة سنة! فلقد تحكمت أمة الرومية في أمور الدولة، فكانت تعزل وتولى من تشاء، أضف إلى ذلك السيطرة المطلقة للقادة والجنود الأتراك الذين أدت صراعاتهم الداخلية إلى عزل الخليفة مرتين؛ الأولى بعد توليه الخلافة بأربعة أشهر، حيث عين مكانة الشاعر ابن المعتز الذي حكم ليوم واحد أُرجِع بعدها الخليفة إلى منصبه(1).

أما الثانية فكانت قبل نهاية حكمه بأربع سنوات، حيث اجتمع القادة والجند مع القائد التركي مؤنس واتفقوا على أن يعزل الخليفة نفسه ويكتب ورقة بذلك، ففعل الخليفة ونفذ ما طُلِبِ منه وجئ بمحمد بن المعتضد وأطلقوا عليه لقب القاهر ولكنهم اختلفوا فيما بينهم بعد يومين فتغير رأيهم وأُعيد المقتدر إلى الخلافة من جديد(2).

تعكس المحاولتان السابقتان ما وصلت إليه الدولة من ضعف، فالمقتدر كان ميالا لشهواته، غارقا في ملذاته، مبذرا لثروات الدولة(3). منفقا للأموال والحُلي والمجوهرات على النساء والجواري(4). ويستنتج كذلك أن السبب في ضعف الخلفاء كان عملاً مدبراً ومدروساً وممنهجاً من قبل القادة والجند والوزراء والكتاب، وذلك ليسهل السيطرة على مقاليد الأمور، وبناءً عليه كان ممنوعاً تولى خليفة قوى يُلم بأحوال الناس(5).

شهد عصر المقتدر الطويل الكثير من الثورات والصراعات الداخلية بين القادة والوزراء والكتاب، حيث أثقلوا ميزانية الدولة بكثرة مصروفاتهم وانتشرت بسبب هذه المصروفات السرقة والرشوة(6)، وشهد هذا العصر كذلك سيطرة النساء وتحكمهن في صناعة القرار بالدولة، فأُمُّ المقتدر التي أشرنا إليها سابقا، كان يطلق عليها لقب السيدة، فكانت الآمرة الناهية، من يعطيها

1- مسكويه: تجارب الأمم، 1/6-8.
2- المصدر نفسه، 1/185.
3- السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص384.
4- السيوطي، المصدر السابق، ص385.
5- مسكويه: المصدر السابق، 1/3، آدم متز، الحضارة الإسلامية، 1/33.
6- التنوخي: نشوار المحاضرة، ص ص19-22.

الأموال والهدايا تعينه كاتباً أو وزيراً أو عاملاً، إضافة لجواريها اللاتي كان لهن نفس الدور[1].

ساعدت هذه الظروف التى عصفت بالخلافة من الداخل والخارج على تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، فأدى ضعف الدولة وتفكك الجيش وصراعاته، إلى زيادة هجمات الأعراب الذين كانوا يعيشون حياة بداوة صعبة وشاقة وفقيرة، وجاءت الاضطرابات العاصفة داخل الخلافة لتزيد من فقرهم وسوء أحوالهم، فالتحق قسم منهم بأية حركة معارضة ومناهضة للسلطة المركزية[2]، والقسم الآخر عاد إلى حياة الغزو والسلب، كما هو شكل بنو شيبان الذين أصبحوا رمزًا لعمليات السلب والنهب والإغارة على السهول والمناطق الزراعية والأسواق التجارية[3]، ولم تنفع معها حملات الخلفاء في القضاء عليهم[4] وإضافة للبدو فقد، شاركت بعض الجماعات الكردية في عمليات النهب والسطو، وشملت هذه العمليات الهجوم على قوافل الحجاج ومهاجمة القوافل التجارية والمناطق الزراعية والمدن المتاخمة للصحراء وكانوا يستولون على كل ما يجدونه من نقود وبضائع ومواد غذائية[5].

أما في داخل المدن فقد ازدادت أعمال اللصوصية التى كانت تجد فرصتها دائمًا في فترات الاضطرابات، ما بين مقتل خليفة وتعيين آخر، وصراع المتصارعين على السلطة وأثناء تدهور الأوضاع الأمنية الداخلية واشتداد الأزمات الاقتصادية [6]، بل وقد تحول الأمر إلى أن قام اللصوص بتشكيل مجموعات كبيرة ونافذة، لم تستطع الدولة أن تقضى عليها بسهولة، بسبب الفساد المستشري داخل الدولة[7].

1- السيوطي: المصدر السابق، ص 384-385.

2- المصدر نفسه، ص 181.

3- الطبرى، الرسل والملوك، 342/11، 366، ابن الأثير، الكامل، 72/6، 76، 77-98.

4- الطبرى، 403/11، ابن الأثير، السابق، 117/6، عريب، صلة تاريخ الطبري، ص29.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، 77/6 و111.

6- ابن الأثير، الكامل، 157/6، 201، مسكويه، المصدر السابق، 39/1، ابن الجوزى، المنتظم، 335/6.

7- مسكويه، المصدر السابق، 51/2، ابن الأثير، المصدر السابق، 299/6.

نتيجة لهذه الأحوال تفاقمت الأزمات الاقتصادية، فعم البلاد الغلاء في تلك الفترة، فسبب في حدوث حالة تذمر وانتفاضات وفتن داخلية، ففي هذه المرحلة وحتى الدخول البويهى وقعت أربع موجات غلاء، خلال سننين (307هـ-919م، و323هـ-934م، و329هـ-330م، 940هـ-941م، وسنة 332هـ-943م)، ففي سنة (307هـ-919م) ارتفعت الأسعار[1].

نتيجة لهذا تحركت العامة والخاصة وقاموا بأعمال شغب، وكان أحد أسباب هذا الغلاء احتكار الوزير حامد بن العباس وغيره من القادة والحاشية للغِلال، وتخزينها ومنع بيعها في الأسواق، فتجمع الناس ونهبوا الدكاكين وتم استدعاء الوزير حامد بن العباس من الأهواز لينظر في الأمر ويبيع الغلات لتنخفض الأسعار، وفي اليوم التالى تحرك الجند أيضًا لارتفاع الأسعار، وتحركت العامة في المساجد الجامعة ببغداد وكسروا المنابر، وفي المسجد الجامع في دار الخليفة هاجم العامة أحد قواد الخليفة ورجموه، كما وقع قتال بين العامة وغلمان الوزير عند مهاجمة دار الوزير، ولم يستطع صاحب الشرطة مقاومة العامة لكثرتهم، ثم توجه العامة في اليوم التالى إلى الجسور فأحرقوها وفتحوا السجون، ونهبوا دار صاحب الشرطة ودار غيره من القواد، ثم قام الخليفة بتوجيه جيش عظيم لقمع تلك الفتنة وقتل عددا كبيرًا من العامة، ورغم ذلك استمرت الفتنة والمناوشات بين العامة والجند حتى أمر المقتدر بفتح الدكاكين والبيوت التى للوزير وللسيدة أمه والأمراء أولاده والوجوه من أهل الدولة وبيع الحنطة بنقصان خمسة دنانير في الكر الشعير بحسب ذلك ومطالبة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا، فرضيت العامة وسكتوا ورخص السعر[2]، وفي هذه السنة وقعت فتنة في الموصل بين أصحاب الطعام وبين الأساكفة واحتراق سوق الأساكفة، وما فيه[3]، و في سنة (323 هـ-934م) وبداية السنة التي تليها أدى الغلاء إلى حصول المجاعة، وينقل الأصفهاني وابن الجوزى أنه توفي بسبب تلك المجاعة مائتي ألف إنسان

1- مسكويه، المصدر السابق، 73/1 – 75، ابن الأثير، المصدر السابق، 163/6.

2- مسكويه، المصدر السابق، 73/1 – 75، ابن الأثير، المصدر السابق، 163/6.

3- ابن الأثير، المصدر السابق، 165/6.

بأصبهان[1]، ويذكر ابن الأثير أنه بسبب الغلاء مات من أهل خراسان خلق كثير من الجوع[2].

أدت هذه الأحوال السيئة للخلافة العباسية لاستعادة حركة القرامطة[3]، قوتها سنة (311هـ-923م) حيث قاموا بغزو البصرة، فنكلوا بأهلها وسلبوهم ما يملكون[4]، وشجعتهم هذه الغزوة فكرروها ثانيةً، في سنة (312هـ-924م) حيث اعتدى قائدهم أبو طاهر على قوافل الحجاج العائدين وكانت مجزرة بشعة، أقضت مضاجع الناس ببغداد وسببت بانفجار شعبى على الوزير ابن الفرات الذى لقب بالقرمطي الكبير إهانة له وشتيمة[5]، وفي العام نفسه، توجه أبو طاهر القرمطي إلى الكوفة حيث أنزل هزيمة قاسية بجيش الخليفة، وأُجبِر أهلها على

1- الأصفهاني، تاريخ سني ملوك الأرض، ص 193.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، 249/6.

3- كان ابتداء هذه الحركة في البحرين سنة (286هـ-899م)، وكان معظم أنصارها من البدو، وفي السنة التالية بدأ القرامطة بزعامة أبى سعيد الجنابى بهجوماتهم، واقترب بعضهم من نواحي البصرة وهزموا جيش الخليفة المعتضد، فيما أنزل أحد قادة المعتضد هزيمة بجيش القرامطة الذي وصل إلى سواد الكوفة، وفي سنة(290هـ-902م) حقق قرامطة الشام انتصارات سريعة في معظم مناطق الشام وكثر القتل والتخريب مما اضطر الخليفة إلى أن يسير إلى الشام لمقاتلتهم، لكنه هُزم بالقرب من حلب ولكن الخليفة المكتفي، سرعان ما حقق نصرًا باهرًا، سنة (291هـ-903م) استطاع من خلاله اعتقال أميرهم المعروف " بصاحب الشامة" قرب حماه ومن ثم قتله، لكن خليفته زكرويه أعاد تنظيم صفوف القرامطة، حيث هاجم دمشق، ومناطق مجاورة لها سنة (293هـ-905م) واستطاعوا تحقيق انتصارات على ولاة الخليفة ثم دخلوا الكوفة، ولم يفلح القادة الذين أرسلهم الخليفة، حيث هزموا شر هزيمة،، وفي سنة (294هـ-906م)، هاجم القرامطة قوافل الحجاج العائدين فقتلوا منهم وسلبوا أعدادًا كبيرة حتى قيل أن عدد القتلى عشرون ألفًا من الحجاج، ونتيجة لهذا جهز المكتفي الجيوش واستطاع هزيمة القرامطة وقتل زكرويه، وبمقتل زعيم قرامطة البحرين أبى سعيد الجنابى على يد أحد خدمه، سنة(301هـ-913م). تقهقرت الحركة لعدة سنوات. الطبري، تاريخ الرسل، 364/11، 366، 368، 386، 394.

4- عريب، صلة تاريخ الطبري، ص57، الأصفهاني، تاريخ سني ملوك، ص203، مسكويه، تجارب الأمم، 104/1 – 105.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، 177/6.

مشاهدة تدنيس القرمطي للمسجد الجامع إذ أقام فيه هو وأتباعه[1]، وحَزِن أهلُ بغداد لهذه الفاجعة، وانتقل أكثرهم للجانب الشرقى واستدعى مؤنس القائد إلى بغداد وأمر بالسير برجاله إلى الكوفة فلم يصلها إلى بعد انسحاب القرامطة منها، فذهبت حملة مؤنس التى كلفت خزينة الدولة أموالا طائلة أدراج الرياح[2]، وفي هذه السنة لم تصل إلى مكة سوى قوافل الشام ومصر، وفي سنة (313هـ-925م) ترك أبو طاهر قافلة العراق تمر لقاء فدية باهظة فرضها[3]، وفي السنوات الثلاث التالية لم تجرؤ أية قافلة من العراق على الذهاب إلى الحج، وعندما علم أهل مكة في سنة (314هـ-926م) أن أبا طاهر القرمطي، قادم إليهم، نزحوا عنها[4].

كان جنود القرامطة مقاتلين شرسين، مندفعين بحماس، وبحكم اعتقادهم أنهم هم المؤمنون فقط، فقد أباحوا لأنفسهم القيام بأبشع المجازر بحق الآخرين، حتى بات أسمهم يثير الهلع في النفوس، وأدت الهزائم المتلاحقة، والمصائب التي لحقت بالسكان، إلى تململ الناس داخل بغداد، خاصة وأن الجميع بات يدرك أن بغداد نفسها لن تكون بعيدة عن هجمات أبي طاهر القرمطي، فكان على الخليفة أن يبحث عن أى حل يساعده للوقوف بوجه القرامطة فأشار عليه المقربين، في سنة (314هـ-926م) باستدعاء أمير أذربيجان والجبال يوسف بن أبي الساج المعروف بشدة بأسه وقوته، ولكن على بن عيسى، العائد إلى الوزارة سنة (315هـ-927م) عارض بشدة استدعاء ابن أبي الساج[5]، خاصة أن تكاليف حملته ستكلف كثيرا، فيما يستطيع الخليفة تجنيد قوات من قبائل بنى أسد وشيبان بتكاليف أقل بكثير، كما أن على بن عيسى كان

1- عربب، صلة تاريخ الطبري، ص 64، الأصفهاني، المصدر السابق، ص 203 – 204، مسكويه، المصدر السابق، 145/1 – 146.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، 180/6.

3- المصدر نفسه، 182/6.

4- المصدر نفسه، ص 185، مسكويه، المصدر السابق، 147/1.

5- مسكويه، المصدر السابق، 147/1، 153، عريب، الصلة، ص 66، 67، ابن الأثير، المصدر السابق، 183/6، 184.

يشكك بفاعلية جند ابن أبي الساج في حروب الصحراء والسواحل وهم الذين اعتادوا الجبال[1].

على كل حال وصلت، قوات ابن أبي الساج، إلى واسط في ربيع الأول، سنة (315هـ-927م)، وبقى فيها ما يقارب سنة، لا يحرك ساكنًا، وعندما وردت الأخبار إلى بغداد بأن أبا طاهر غادر هجر متوجهًا إلى الكوفة أمر الخليفة ابن أبي الساج بالتوجه إلى الكوفة لكنه أبطأ في سيره حتى سبقه إليها أبو طاهر واستولى عليها[2].

سرعان ما وقعت الحرب بين القرامطة وابن أبي الساج وانتهت بهزيمة هذا الأخير ووقوعه أسيرًا في يد أبي طاهر[3]، ولما وصل نبأ الهزيمة إلى بغداد امتلأت المدينة هلعًا ورعبًا وفكر كثير من الناس في الهرب إلى المناطق الآمنة، فيما تابع القرمطي تقدمه يريد بغداد، وعبر جسر الأنبار فخرج الخليفة وكبار رجال الدولة، على رأسهم مؤنس القائد ونصر الحاجب وهارون بن غريب وأبو الهيجاء الحمداني على رأس جيش يزيد على أربعين ألف مقاتل[4].

بعد هذه الاستعدادات لمواجهة القرمطي، التقت هذه الجموع، على مسافة قريبة من بغداد واتفقوا على قطع قنطرة النهر، للحيلولة دون تقدم أبي طاهر، وبالفعل ما إن وصلت قوات القرامطة حتى اضطرت للتراجع، ويقول مسكويه أنه لو لم تكن القنطرة مقطوعة لعبر أصحاب القرمطي عليها وملك القرمطي بغداد[5]، خاصة وإن أصحاب الخليفة هربوا إلى بغداد منهزمين لما بلغهم وصول أبي طاهر إلى النهر من دون أن يروهم لعظم ما الرعب داخل القلوب، و اشترى بعض أهل بغداد سفنًا واستعدوا للهرب إلى واسط وحلوان ليسيروا إلى خراسان[6].

انسحب أبو طاهر إلى ما وراء نهر الفرات من دون أن يواجهه أحد، وتابع غزواته على

1- مسكويه، المصدر السابق، 153/1.

2- مسكويه، المصدر السابق، 173/1، ابن الأثير، المصدر السابق، 186/6.

3- مسكويه، المصدر نفسه، 174/1 – 175، ابن الأثير، المصدر السابق، 187/6، عريب، الصلة، ص 68.

4- مسكويه،المصدر السابق، 175/1 – 176.

5- الأصفهاني،المصدر السابق، ص 205.

6- مسكويه، المصدر السابق، 177/1، ابن الأثير، المصدر السابق، 188/6.

ضفاف النهر خلال تلك السنة والتى تلتها (316هـ-928م) يساوم بين النهب أو دفع الفدية على بعض المدن أو الجزية على القبائل العربية القاطنة في بلاد ما بين النهرين علامة على طاعتها له[1].

ومع أن كل الاحتمالات باتت متوقعة مما قد يقوم به القرمطي، إلا أن أحدًا لم يكن ليتصور أن يفعل ما فعله عام (317هـ-929م) ففي هذه السنة هاجم أبو طاهر مكة في موسم الحج وقتل الحجاج بالمسجد الحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة واقتلع أبواب الكعبة وجردها من كسوتها وأخذ جميع ما كان فيها من آثار الخلفاء، وأخذ أموال الناس وطرح القتلى في بئر زمزم، واقتلع الحجر الأسود وأخذه معه إلى هجر، وكان قد خرج إليه أمير مكة في جماعة من الأشراف فقتل معظمهم[2].

كانت فاجعة حقيقة بالنسبة للمسلمين "فتدنيس" الكعبة وسرقة الحجر الأسود وقتل الألوف من الناس والحجاج، كل ذلك كان من المفترض أن يحرك الخلافة، لكن شيئًا من هذا القبيل لم يحدث فالكل مشغول بصراعاته الداخلية، والتنافس على الإمارة والوزارة والإثراء، ولم يكن أمام أبى طاهر بعد تلك الانتصارات والغنائم الضخمة التى كان يغنمها سوى أن يتابع حملاته، ففي سنة (319هـ-931م) استولى القرمطي على الكوفة فمكث فيها قرابة الشهر، ثم عاد إلى بلده[3].

وبإخضاعه للعديد من المناطق أصبح أبو طاهر مسيطراً على، الجزيرة العربية، وبدأ نظره يتجه نحو محاولة السيطرة على بغداد من جديد، وكان يعتبر الوقت ملائماً، للاستيلاء على دار الخلافة، لكن ظهور المهدى الدجال عند القرامطة[4] سنة (319هـ-931م) حال دون ذلك،

1- مسكويه، المصدر السابق 182 - 183، 191 - 192، عريب، المصدر السابق، ص69.

2- مسكويه، لمصدر السابق، 201/1، ابن الأثير، المصدر السابق، 203/6 – 204، غريب، المصدر السابق، ص71، الأصفهاني، المصدر السابق، ص 212 و214.

3- عريب، المصدر السابق، ص84، الأصفهاني، المصدر السابق، ص212 – 214.

4- عريب، المصدر السابق، ص84، الهمذانى، تكملة تاريخ الطبري، ص139، مسكوبه، المصدر السابق،

فقد ظهر بين القرامطة دجال زعم أنه صاحب العلامة ونجح في أن يحوز على طاعة الجميع فسلمه أبو طاهر مقاليد الأمور، وقد استخدم هذا الرجل نفوذه ليقضى على عدد من القرامطة البارزين إلا أن تصرفاته وأعماله جعلت أبا طاهر يرتاب في أمره فكشف كذبه وقتله، ويظهر أن أعمال هذا الدجال وقتله للكثيرين من الرجال النافذين بين القرامطة سبب عداوات داخلية، وكانت سببا رئيسيا لضعف القرامطة وانحسار حركتهم(1).

احتج الناس في بغداد وباقي المدن وساءهم ما حدث للحجيج فكسروا المنابر يوم الجمعة وناحت النساء في الطرقات وطالبن بالثأر والقصاص من القرامطة وأعوانهم وازدادوا تذمرا من الخليفة المقتدر، وأيقظ هذا الأمر الجلل الخليفة، من غفوته فحاول الإصلاح وسعى إلى تلبية الطلبات، وحاول جمع المال الكافي لذلك، ونظراً لعجز ميزانية الدولة التي نهبها الوزراء، والقادة، وكبار رجال الدولة، بدأ المقتدر ببيع الإقطاعات، فأنشأ ديوانا لبيع أراضيه، ولكن هذا لم يحل المشكلة فالجند طمعوا في المزيد بعد أن استجاب الخليفة لمطالبهم، فأدخلوا زوجاتهم وأقاربهم للبلاط والديوان وتدخلوا في أدق الأمور، فأدى هذا إلى الاقتتال فيما بينهم، وبقي المقتدر في الحكم خائفا متوجسا مترقبا لما يحدث من الجند، وازدادت علاقته سوءا بالقادة العسكريين وعلى رأسهم "مؤنس" فتطورت هذه الأحداث إلى حالات شغب من الجند ومواجهة بين الخليفة المقتدر والقائد مؤنس، انتهت هذه المواجهة بهزيمة المقتدر حيث قطع الجند رأسه ورفعوه على خشبة وهم يكبرون ويلعنون، ويقال أنهم أخذوا ما عليه وتركوه مكشوفا إلى أن مر به رجل. حفر له بموضعه ودفنه(2).

لم تتحسن الأحوال بتولي الخليفة القاهر مقاليد الحكم سنة (320هـ-952م) بل ازدادت سوءا، فالقاهر بدأ عصره بالتنكيل بأم المقتدر حيث سلبها كل ما تملك من مال وحُلي ومجوهرات ثم سجنها وهي مريضة إلى أن ماتت بسجنها واستطاع التخلص ممن أوصلوه إلى سُدة

55/2، ابن الأثير، المصدر السابق، 268/6.

1- عريب، المصدر السابق، ص84، ابن الأثير، المصدر السابق، 268/6.

2- مسكويه، المصدر السابق، 235/1.

الحكم، فتمكن من القضاء على مؤنس الخادم وبعض القادة إلا أنه لم يتمكن من هم جميعا، فدبر له الوزير ابن مقلة مكيدة انتهت بالقبض عليه وسجنه إلى أن مات بسجنه سنة (339هـ-950م) في خلافة الطائع[1].

بمجيء الخليفة الراضي بالله سنة (322هـ-933م) كانت الدولة في حالة متدهورة وخزينة خالية[2]، ومع أن الراضي جيء به من قبل الجند إلا أن بيعته كما تذكر الروايات كانت بيعة اختيار وإجماع دون مؤامرات وسابق تدبير[3].

تميز عصر الراضي بكونه آخر خليفة عباسي يشرف مباشرة على المال والجيش وإعطاء الجوائز والإنفاق على الجواري والخدم والمجالس[4]، وتميز كذلك بعودة نشاط القرامطة، ولكنه كان هذه المرة ضعيفا، ففي سنة (322هـ-933م) اتجه القرامطة إلى توج وسينيز في فارس، و لكنهم هُزموا وأُسِرَ، منهم ثمانون قرمطيًا، أُرسلوا جميعا، إلى بغداد[5]، وفي هذه السنة بدأ مُحَمَّد بن ياقوت حاجب الخليفة الراضي المفاوضات مع أبي طاهر القرمطي، وقد طلب مبعوث الخليفة من القرمطي أن يدين بالولاء للخليفة وأن لا يتعرض للحجاج وأن يرد الحجر الأسود مقابل اعتراف الخليفة به أميرًا على البلاد التي يحكمها ويقلده بعد ذلك ما شاء من البلدان[6].

لكن إجابة أبي طاهر على هذا العرض جاءت مهادنة فلم يتعرض للحجاج في هذه السنة، و في السنة التالية (322هـ-934م) اعترض قافلة الحجاج وأجبرها على العودة ثم سار

1- الصولي: أخبار الراضي والمتقي، ص105.
2- المصدر نفسه، ص17.
3- حسام السامرائي: المؤسسات الإدارية، ص70.
4- التنوخي: نشوار المحاضرة، 146/1.
5- مسكويه، المصدر السابق، 284/1.
6- ابن الأثير، المصدر السابق، 242/6.

إلى الكوفة وأقام فيها عدة أيام ثم رحل عنها[1]، وفي سنة (325هـ-936م) احتل أبو طاهر الكوفة ثانية، فتوجه ابن رائق أمير الأمراء بجيشه للقائه وبادر إلى التفاوض معه فطالب أبو طاهر بفدية كبيرة جدا من المال و الطعام، ولكن هذه المفاوضات فشلت، وعاد كل طرف من حيث أتى[2].

ظل الحج مقطوعًا إلى سنة (326هـ-937م) حيث نجح أمير الحج، بالكوفة ويُدعى أبوعلي بن عمر العلوي من الاتفاق مع أبي طاهر القرمطي، سنة (326هـ-938م) يسمح بموجبها أبوطاهر، مقابل فدية سنوية، ورسوماً فردية يدفعها كل حاج[3]، ونتيجة لازدياد نفوذ الأتراك قادة وجندا تقاتلوا فيما بينهم، فاستقل بعضهم بولايات عن عاصمة الخلافة وهذا ما فعله مُحَّد بن رائق الذي استقل بواسط والبصرة، فأدى هذا إلى تضاعف قوة الحمدانيين في الجزيرة، واستقلال البويهيين بفارس والبريديون بالأهواز[4].

كان لصراع الوزير ابن مقلة مع ابن رائق في جنوب العراق الأثر السيئ على الخلافة، وكان لزاما على الخليفة الموازنة بين طموح الاثنين. فقرر عزل ابن مقلة والتقرب إلى ابن رائق وذلك بالاتفاق معه حيث يتكفل ابن رائق بنفقات الخلافة ودفع رواتب الجيش والخدم مقابل أن يصبح أميرا للأمراء[5]، وأدى هذا الاتفاق الذي فوض فيه الخليفة ابن رائق تفويضا مطلقا إلى تحكم ابن رائق في مقاليد الأمور[6].

ازداد الوزراء والقادة تذمرا وبدأ ابن مقلة في التدبير لعزل ابن رائق حيث قام بمكاتبة العديد من القادة الأتراك والاتفاق معهم على عزل ابن رائق من منصبه، وكتب أيضا للخليفة

1- ابن الأثير، المصدر السابق، 249/6

2- مسكويه، المصدر السابق، 267/1.

3- ابن الجوزى، المنتظم، 296/6.

4- مسكويه، المصدر السابق، 301/1.

5- المصدر نفسه، 350/1-351.

6- المصدر نفسه، 352/1.

الراضي ضامنا له في حالة القبض على ابن رائق، الحصول على ملايين الدنانير، ومشيرا عليه بتعيين القائد التركي "بجكم"[1].

لم يكتب لمكيدة ابن مقلة النجاح فقد علم بها ابن رائق الذي قبض على ابن مقلة فأمر بقطع يده ولسانه[2]، وأدت هذه المؤامرة إلى فقدان الثقة بين القادة الأتراك، والصراع من جديد على منصب أمير الأمراء، فأدى هذا الصراع إلى المجيء بالقائد "بجكم" إلى هذا المنصب، بعد أن اتفق مع الخليفة الراضي على عزل ابن رائق الذي هرب من بغداد واختفي أثره[3]، واستطاع بجكم السيطرة على الأمور، والتزم الخليفة الراضي بأمره، رغم سخط الناس على بجكم وهذا ما يفسره قوله: ((فرضيت ضرورة به))[4]،و تمتع الناس في آخر ثلاث سنوات من حكم الراضي بحالة من الاستقرار وبدأ القادة يفكرون باستعادة ما ضاع من أقاليم الخلافة ولكن لم يكتب لهم النجاح بسبب طمع كل منهم في الآخر بصراعهم المستمر على الاستئثار بالنفوذ والتسلط والقيادة[5].

في خضم هذا الصراع بلغت أنباء وفاة الخليفة الراضي للقائد بجكم في واسط، فكتب إلى كاتبه بأن يبلغ وزير الخليفة وجميع المسئولين وكل من تقلد الوزارة وأصحاب الدواوين والقضاة والفقهاء وأعيان البلد ويشاورهم فيمن يكون خليفة عليهم[6]، وبهذه المراسلة أهمل بجكم وصية الخليفة الراضي في تولية ابنه الفضل للخلافة[7]، وانتهى التشاور إلى اختيار إبراهيم بن المقتدر الذي بويع بالخلافة سنة (329هـ-940م) واختار لنفسه لقب المتقي لله[8]، حيث عُرف عن الخليفة المتقي لله حسن السيرة،، فهو بالفعل له من اسمه نصيب، وعدا ذلك فقد كان مغلوبا

1- ابن الأثير، الكامل، 133/8.

2- مسكويه، المصدر السابق، 387/1.

3- الصولي، أخبار الراضي، ص118.

4- المصدر نفسه، ص110.

5- ابن الأثير: الكامل، 140/8.

6- مسكويه: المصدر السابق، 2/2.

7- ابن الجوزي: المنتظم، 316/6.

8- ابن الأثير، المصدر السابق، 142/8، مسكويه، المصدر السابق، 3/2.

على أمره، فأمور الحكم بيد القادة العسكريين ووزير الخليفة تحت تصرفهم يعمل بما يأمرونه[1].

نظرا لهذه الظروف هرب الخليفة المتقي لله من بغداد خائفا وطالبا للنجاة وهي سابقة تحدث لأول مرة في تاريخ خلفاء بني العباس[2]، ولكن الخليفة ما لبث أن عاد إلى بغداد من جديد بعد أن تعهد له القائد التركي"توزون" بالأمان، غير أنه غدر به بعد تلقيه رشوة من أحد الطامعين في كرسي الخلافة، فقام توزون بسمل عيني الخليفة المتقي لله[3].

في هذه الأثناء توفي أبو طاهر القرمطي عام (332هـ-943م) بمرض الجدرى[4].

بموت أبي طاهر تقهقر القرامطة، فدب الصراع بينهم حول خلافته، وكان بالإمكان أن تكون وفاة القرمطي بداية مشجعة للخليفة الجديد عبدالله بن المكتفي الذي تمكن من الوصول إلى الخلافة ولقب بالمستكفي بالله ولكن قهرمانتهالمسماة"علم" والمعروفة بحسن الشيرازية تأمرت مع القائد التركي"توزون" على خلعه، سنة (333هـ-944م)[5].

ثانياً: الخلافة العباسية في ظل الاحتلال البويهي

ينتسب البويهيون إلى أبي شجاع "بويه" بن "فناخسروا" الذي ينحدر أصله من أحد ملوك الفرس وهو شابور ذي الأكتاف[6]. وكانت بداية ظهوره في الحرب التي وقعت سنة

1- السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 494.

2- مسكويه: السابق، 25/2، ابن الأثير، السابق، 284/6.

3- ابن الجوزي: المنتظم، 338/6، مسكويه، المصدر السابق، 72/2-75.

4- مسكويه، المصدر السابق، 55/2، ابن الأثير، المصدر السابق، 299/6.

5- مسكويه: المصدر السابق، 75/2.

6- يرى ابن الأثير نسبتهم إلى الديلم بسبب طول مقامهم ببلادهم، وينقل ابن خلدون ما ذكره ابن ماكولا من أن نسبهم يعود إلى الساسانية وما قاله مسكويه، بنسبتهم إلى يزدجرد بن شهريار، لكنه يؤكد بأن هذه الأنساب موضوعة، وضعها من لا يعرف طبائع الأنساب في الوجود، واستبعد أن يكونوا من غير الديلم ثم تكون رياسة الديلم لأن الرئاسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم.أما الأصفهاني وهو أكثر المؤرخين معرفة بأصول ملوك الفرس، يذكر أن على بن بويه كان زعيمًا لإحدى قبائل الديلم تسمى شيرذيلأوندان، تقيم في قرية كياكاليش في ديلمان ابن الأثير، المصدر السابق، 230/6، 264/8-265، ابن الطقطقى، الفخري في الآداب، ص

(304 هـ-916م) قرب مدينة جرجان [1]. بين الدولة الزيدية وقوات خراسانية حيث كان أبو شجاع أحد قادة الدولة الزيدية في هذه الحرب [2]، وكان أبو شجاع رجلا متوسط الحال، ماتت زوجته وهو ببلاد الديلم [3]، وخلفت له ثلاثة أولاد هم: "علي والحسن وأحمد" ألتحق علي وأخوه الحسن سنة (321 هـ-933م) بالقائد الديلمي ما كان بن كالي ولكنهما ما لبث أن تركاه والتحقا بالقائد مرداويج بن زيار الذي أعطى عليا ولاية الكرج [4]، واستطاع علي بعد ذلك من السيطرة على الري[5]، وأصفهان[6]، وأتم هذه السيطرة على شيراز[7] سنة (322هـ-934م) واستطاع أخوهما أحمد السيطرة على كرمان[8]، حيث استولى عليها سنة (324هـ-639م)[9].

بهذا استقر الأمر لعلى بن بويه في فارس، ومنذ هذا التاريخ (322هـ-934م) بات هذ الأقليم خاضعاً لسلطة البويهيين، ويعلل بعض المؤرخين سرعة، بسط علي بن بويه سيطرته على المدن، بقصصٍ عجيبة، وكلها تدور حول عثور علي بن بويه بعد فتحه شيراز على أموال جمة وذخائر من مخلفات الدول الغابرة[10].

376.ابن خلدون، تاريخ، 826/3. الأصفهاني، المصدر السابق، ص241، 242 – 243.

1- جرجان: إقليم يقع جنوب شرق بحر قزوين، لسترنج، بلدان الخلافة، ص417.

2- الصابئ: المنتزع من كتاب التاجي، ص59.

3- بلاد الديلم: تقع جنوب غرب بحر قزوين، لسترنج، المصدر السابق، ص207.

4- الكرج: تقع في بلاد الجبل بين همذان وأصفهان، ابن حوقل، صورة الأرض، ص394.

5- الري: تقع في الطرف الشمالي من إقليم الجبال، قامت على أنقاضها مدينة طهران الحالية، لسترنج، المصدر السابق، ص249-252.

6- أصفهان: تقع في الطرف الجنوب الشرقي من إقليم الجبال، لسترنج، المصدر السابق، ص238.

7- شيرازك هي حاضرة بلاد فارس وتقع وسط إقليم الجبال، ياقوت، معجم البلدان، 380/3.

8- كرمان: تقع بين فارس ومكران وخراسان، ياقوت، المصدر السابق، 454/4.

9- مسكويه: تجارب الأمم، 352/1-353.

10- ابن الأثير، الكامل، 234/6، 235، الهمذاني، المصدر السابق، ص 88.

كان أول ما فعله على بن بويه بعد سيطرته على فارس، تثبيت هذه السيطرة بصورة رسمية شرعية، فكتب إلى الراضى بالله وكانت قد أفضت إليه الخلافة وإلى وزيره أبي علي بن مقلة مقدما لهما الطاعة، ويطلب أن يُعين على ما بيده من البلاد[1]، وفي الوقت نفسه كان على على بن بويه أن يُهادن مرداويج[2].

أدى مصرع مرداويج إلى تقوية على بن بويه عسكريًّا[3]، فاستفاد من هذا الظرف فوسع رقعة سيطرته، وأرسل أخاه الحسن على رأس جيش، إلى بلاد الجبل حيث أستولى على أصفهان، وبعد أن تم للأخوين على والحسن أمر فارس والجبل، بقى أخوهما الأصغر أحمد من دون ولاية فرأيا أن يسير إلى كرمان للاستيلاء عليها، وهذا ما حدث بالفعل بعد أن فر صاحبها مُحَّد بن الياس، ومبايعة على بن كلويه زعيم قبائل القفص والبلوص له، فاقطعه أحمد إحدى المدن مكافأة له، لكن البويهى الصغير عاد ونقض الاتفاق وغدر بعلى بن كلويه، ونتيجة لغدره، قطعت يده في المعركة وكاد أن يقتل، إلا أنه عاد وانتصر على ابن كلويه، كما قضى على محاولة ابن الياس للعودة إلى كرمان، إلا أن أخاه علي أمره بالعودة إلى فارس[4]، حيث بعث به بعد عامين سنة (326هـ-937م) على رأس جيش وبرفقة البريدى – الذى كان قد التجأ إلى على بن بويه سنة (325هـ-936م) نتيجة الصراعات الدائرة في بغداد لفتح الأهواز، نجح أحمد في هزيمة قوات أمير الأمراء بقيادة بحكم مرتين، الأولى قرب أرجان، والثانية قرب عسكر مكرم، التى أستولى عليها، لكن البريدى عاد وتخلى عن البويهيين وهرب إلى البصرة، ومن هناك كاتب أحمد وطالبه

1- ابن الجوزي، المنتظم، 270/6.

2- كان مرداويج يعتزم بعد انتهاء فصل الشتاء سنة (323هـ-935م) الإطاحة بالبويهيين والسيطرة على فارس، وكان يأمل باحتلال بغداد أيضًا، و لكن الموت أدركه. مسكويه، المصدر السابق 314/1-315، ابن الأثير، المصدر السابق، 244/6-245.

3- مسكويه، المصدر السابق، 315/1.

4- ابن الأثير، المصدر السابق، 255/6- 256.

بالتخلي له عن الأهواز لأنه ضمها من أخيه علي، فصدق أحمد الخدعة، ورحل عن الأهواز إلى عسكر مكرم، وكاد أن يستتب الأمر للبريدى في الأهواز، لولا النجدة السريعة التى تلقاها أحمد من أخيه على مكنته من استعادة الأهواز وإجبار البريدى من جديد للهروب إلى البصرة(1).

على صعيد آخر، استمر الصراع بين الحسن بن بويه وشمكير، أخ مرداويج للسيطرة على اقليم الجبال، حيث تبادل الطرفان، أصفهان خلال سنتي (327هـ، 328هـ/938، 939م)(2)، وفي سنة (331هـ-942م) نجح الحسن بانتزاع الري أيضا من شمكير(3)، ومنذ ذلك الحين ثبتت سيطرته على معظم إقليم الجبال، ولم تخرج هذه المنطقة عن سيطرته سوى في سنتى (333هـ-944م) و(339هـ-950م) وفي الحالتين على أيدى السامانيين، لكن سرعان ما استعادوها(4).

في هذا الوقت، كان أحمد البويهى يتابع محاولاته للسيطرة على واسط، وهدفه بغداد،، وقد سبق للبريدى عندما التجأ إلى فارس سنة (325هـ-936م)، أن أطمع البويهيين وأغراهم ببغداد والسيطرة عليها، لكن محاولات أحمد سنة (331هـ- 942م) لاحتلال البصرة(5)، وسنة 332هـ-943م) لاحتلال واسط لم تؤد إلى نتيجة، بل هزم في المرة الثانية أمام توزون أمير الأمراء هزيمة شنعاء(6)، لكن أحمد عاد مرة ثانية وفي السنة نفسها محاولاً احتلال واسط، فخرج له أمير الأمراء توزون والخليفة الجديد المستكفي، ورغم الانتصارات الأولى التى حققها أحمد

1- مسكويه، المصدر السابق، 357/1، 373، 378 – 387.
2- المصدر نفسه، 411/1، 6/2، ابن الأثير، المصدر السابق، 272/6، 278.
3- الهمذانى، المصدر السابق، ص 119 – 120.
4- ابن الأثير، المصدر السابق، 312/6، 336.
5- مسكويه، المصدر السابق، 37/1.
6- ابن الأثير، المصدر السابق، 295/6، الهمذاني، المصدر السابق، ص 137-139.

البويهى، إلا أنه اضطر إلى التراجع إلى الأهواز بعد أن نجح جيش توزون في اختراق قواته[1].

نتيجة للاضطرابات الداخلية بعاصمة الخلافة، دخل البويهيين بغداد بقيادة أحمد، بعد ما استنجد بهم الخليفة المستكفي، في جمادى الأول سنة (334هـ-945م) حيث استقبله الخليفة ومنحه لقب معز الدولة ولقب أخاه عليا عماد الدولة ولقب الحسن ركن الدولة وأمر أن تضرب ألقابهم على الدراهم والدنانير[2].

توزع الأخوة الثلاثة على المناطق التى خضعت لسيطرتهم، فبات علي عماد الدولة أميرًا لفارس، والحسن ركن الدولة أميرًا على إقليم الجبال، وأحمد معز الدولة أميرًا على العراق، وبسرعة عملوا على ترسيخ سلطتهم وتوسيع رقعة نفوذهم، فلم تمض سنة (335هـ-946م) حتى كان معز الدولة قد اخضع ناصر الدولة الحمداني، الطامح بالاستيلاء على بغداد، وأجبره على الرضوخ لسلطته[3]، كذلك فعل بالأتراك عندما خرجوا عليه[4]، وقضى على الأسرة البريدية في موقعها الأخير بالبصرة، فانتزعها من أيديهم سنة (336هـ-947م)، وانضم إليه جيش البريدى بأسره فيما التجأ أبو القاسم البريدى إلى القرامطة في هجر[5].

أما من شك معز الدولة بولائه أو من تمرد عليه من قواده فكان يعتقله ويرسله مسجونًا إلى قلعة رامهرمز في خوزستان، أما ركن الدولة، فقد تمكن بمساعدة أخيه علي من إحكام سيطرته على إقليم الجبل بأسره سنة (335هـ-946م)، وفي العام التالى سيطر على طبرستان وجرجان[6].

1- الذهبي، دول الاسلام، 151/1.

2- ابن الأثير، المصدر السابق، 449/8-450.

3- مسكويه، المصدر السابق، 89/2-94 و109، ابن الأثير، المصدر السابق، 316/6، الهمذاني، المصدر السابق، ص151.

4- مسكويه، المصدر السابق، 109/2.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، 324/6-325.

6- الهمذانى، المصدر السابق، ص160.

صادر البويهيين ما بقي للخليفة من مهام ورسوم وحولوه إلى مجرد موظف يتقاضى راتبا شهريا محددا[1]، ولم يمض وقت طويل على دخول البويهين عاصمة الخلافة حتى عملوا على خلع المستكفي بالله، فسلموه إلا خليفة جديد لقبوه بالمطيع! فسمل عيني المستكفي وأجبره على خلع نفسه، وسجنه إلى أن مات بسجنه سنة (338هـ-950م)[2].

استطاع معز الدولة أن يسيطر سيطرة تامة على الخليفة المطيع بعد أن حلف له بأغلظ الأيمان بأنه لن يخونه ولن يناصر عليه عدوا، ويوضح لنا ابن الأثير سر هذه السيطرة المطلقة من قبل معز الدولة أحمد بن بويه حيث يرجع ذلك إلى سبب مذهبي كون أهل الديلم شيعة ويعتقدون أن العباسيين قد غصبوا الخلافة وأخذوها من مستحقيها فلم يكن عندهم باعث ديني على الطاعة، ومما يذكره ابن الأثير في هذا الشأن، أن معز الدولة استشار أصحابه المقربين في إخراج الخلافة من بني العباس إلى معز الدين العلوي أو غيره من العلويين، فأشار عليه أغلبهم بهذا الرأي إلا قلة نصحوه بعدم الفعل، قائلين له: ((ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته فلو أمرتهم بقتلك لفعلوه، فأعرض عن ذلك))[3].

أصبح الخليفة المطيع أُلعوبة في يد أحمد بن بويه يحركه كيفما شاء، حيث كان يرافقه في حروبه مع ناصر الدولة الحمداني سنة (334هـ-946م) وحربه مع أبي القاسم البريدي في البصرة سنة (335هـ-947م)[4]،ومما يؤكد صحة هذا الكلام شهادة الخليفة علي نفسه،

1- السيوطي،المصدر السابق، ص 397، مسكويه، المصدر السابق، 67/2.

2- ابن العبري: تاريخ مختصر البشر، ص167، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، 299/3، القلقشندي، صبح الأعشا، 258/3.

Amir Ali, H short History of Thsaracnes, p 303.

3- ابن الأثير: الكامل، 315/6.

4- مسكويه، المصدر السابق، 105/2، أبو المحاسن، المصدر السابق، 295/3. ابن الأثير، المصدر السابق، 223-225/6.

فنجده يقول بعد أن طلب منه دفع ما ينفقه لجهاد الروم الذين استباحوا نصيبين بقيادة ملكهم "الدمستق" سنة (362هـ-973م): ((إنما يجب عليَ ذلك إذا كنت مالكا لأمري)) نجده يصرح بهذا أيضا قائلا: ((.... وإنما لي منكم الاسم على المنبر فإن آثرتم أن أعتزل اعتزلت))[1].

ومع هذا فقد دفع الخليفة المال مرغما بعد أن باع جزءا من داره وثيابه وشاع بين الناس أنه صودرت أمواله، واستخدمت في مصالح عز الدولة الخاصة، ورغم كل الضعف والهوان الذي كانت عليه الخلافة العباسية استطاع غلام أبوالقاسم بن هبة الله ناصر الدولة من هزيمة جيش الروم وأسر ملكهم الدمستق[2].

ساعدت حالة الضعف التي واكبت خلفاء بني العباس طيلة القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي، والصراعات الداخلية بين القادة، إلى تمكن الحاجب سبكتكين من هزيمة عز الدولة بختيار وطرده هو وأهله من داره ونهبها ونفيهم إلى واسط، ووصل به الأمر إلى إرسال الخليفة معهم، إلا أن الخليفة توسل لسبكتكين فعفا عنه وتركه[3]، وعندما عرض على الخليفة خلع نفسه وافق، و سُلمت الخلافة لابنه الطائع سنة: (363هـ-973م)[4].

كان اسم الطائع قريب من اسم المطيع وهما في الواقع سواء، فقد كانوا مطيعين لبني بويه، منفذين لجميع رغباتهم، فقد سيطر عليه عضد الدولة بن بويه (367-372هـ/977-982م) ويرون أن الخليفة استجاب لرغبة عضد الدولة وذلك بتزويج ابنته للخليفة، فقد كان عضد الدولة يطمع إلى أن تلد ابنته ذكرا يكون وليا للعهد، فتكون الخلافة في ولد لبني بويه فيه نسبٌ

1- الهمذاني: تكملة تاريخ الطبري، ص428، ابن الأثير، المصدر السابق، 45/7، أبوالفدا، المختصر، 112/20.

2- ابن الأثير: المصدر السابق، 45/7.

3- ابن كثير: البداية، 275/11.

4- ابن العبري: المصدر السابق، 103/2.

لهم[1]، وأدى ضعف الخليفة إلى طمع قادة بني بويه في الخليفة وما يملك، فنتيجة للحروب التي خاضها بهاء الدولة أبو النصر فيروز البويهي مع الطامعين في منصبه من آل بويه وشغب الجند عليه مطالبين إياه بالمال، قبض على وزيره سابور ليأخذ منه المال فلم يجد ما يكفيه فتوجه للخليفة الطائع وسلبه ما في دار الخلافة[2]، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، حيث أجبر الخليفة على خلع نفسه وتسليم أمر الخلافة للخليفة العباسي القادر بالله (381-422هـ/991-1031م)[3].

كانت هذه خلاصة الأحوال الداخلية للخلافة والعالم الإسلامي بالمشرق الإسلامي طيلة القرن الرابع الهجري، فضعف الخلفاء كان السمة البارزة لهذا القرن، واتفق المؤرخون على أن قمة هذا الضعف كانت في عهد الطائع فوصفوه، بأنه: ((لم يكن له من الحكم في ولايته ما يعرف به حال يستدل به على سيرته))[4].

أما الأحوال الخارجية فقد نجح المقتدر في إفشال محاولات الفاطميين للاستيلاء على مصر، ففي سنة (301هـ-913م) هزم مؤنس القائد جيش المهدى، و أجلاهم عن مصر، وعادوا إلى المغرب وتكرر الأمر سنة (307هـ-919م)[5]، ولم ينجحوا في السيطرة على مصر إلا في سنة (358-968م)، ولكن حالة الإنهاك التى أخذت تضرب الدولة العباسية، أتاحت لعدد من القوى المحلية في إنشاء دويلاتها"المستقلة" فأخذت المقاطعات تنتقل من يد أمير إلى آخر، أو من ظل سيطرة أسرة محلية إلى أخرى، فالدولة الطاهرية انتهت في خراسان سنة (261هـ-874م) باستيلاء الصفاريين عليها، والدولة الصفارية انتهت في سجستان سنة (290هـ- 902م) باستيلاء السامانيين عليها، وإن ظل ورثة الصفاريين يحاولون إعادة ملكهم

1- ابن الأثير: المصدر السابق، 102/7.
2- المصدر نفسه، 148/6.
3- مسكويه: تجارب الأمم، 201/2.
4- ابن الأثير: المصدر السابق، 148/7.
5- عريب، المصدر السابق، ص 27، 41.

وينتقلون من السيطرة على مقاطعة إلى أخرى فيما بعد، وبالإجمال شهدت كل مناطق الخلافة حالة من الاضطراب السياسي لا مثيل لها، ولم يكن للخلافة أمام عجزها عن التصدى لهذه الحركات سوى أن تقر أصحابها على ما بأيديهم، واستمرت غزوات المسلمين لأرض الروم بنجاح[1].

مع حلول سنة (313هـ-925م) كتب ملك الروم إلى أهل الثغور يأمرهم بحمل مال إليه وإلا قصدهم وقال:" لقد صح عندي ضعف ولاتكم"[2]، وعندما امتنع الأهالى سار إليهم، ودخل الروم ملطية، سنة (314هـ-926م) فخربوها وسلبوا ونهبوا وأقاموا فيها أربعة عشر يومًا، ونزح أهلها إلى بغداد مستغيثين مما نزل بهم[3]، وفي السنة التالية (315هـ-927م) أغار الروم على ثغر للمسلمين فذبحوا الناس وسبوا عامة أهلها[4]، وفي العام نفسه هزم الروم سرية للمسلمين ثم سار الدمستق في جيش كبير من الروم إلى مدينة دبيل، لكنهم هُزموا[5]، وفي السنة التالية (316هـ-928م) وصل الدمستق في جيش كبير إلى أرمينيا فحاصر إحدى مناطقها، فصالحه أهلها ورحل عنهم، واستغاثوا بالخليفة فلم يغاثوا[6]، وفي سنة (327هـ-929م) ضعفت ثغور الجزيرة عن صد الروم، وهددت ملطية وميافارقين وأمد وأرزن، بالتسليم لملك الروم لعجز المقتدر عن نصرتهم[7].

كان عام (319هـ-931م) عام، غزوات ناجحة للمسلمين، فقد غزا والي طرسوس بلاد الروم وحقق نصرًا باهرًا، ثم عاد مرة ثانية ودخل بلاد الروم وبلغ عمورية، فحاصروها فهب

1- الطبرى، الرسل و الملوك372/1، 391، 399، 402، 406، 408، 409.

2- مسكويه، المصدر السابق 146/1، ابن الأثير، المصدر السابق، 182/6.

3- المصدر نفسه، 146/1، 147، المصدر نفسه، 182/6.

4- مسكويه، المصدر السابق، 159/1، ابن الأثير، المصدر السابق، 186/6، الأصفهاني، المصدر السابق، ص 305.

5- ابن الأثير، المصدر السابق، 189/6.

6- ابن الأثير، المصدر السابق، 199/6.

7- المصدر نفسه، 206/6.

سعيد بن حمدان والى الموصل وكان المقتدر قد اشترط عليه غزو الروم ولم يتمكن الروم من دخول البلد[1]، وفي سنة (322هـ-933م) سار الدمستق، وحاصر ملطية وهلك أكثر أهلها جوعًا فدخلها وكثر القتل والتخريب[2].

ازدادت الأمور سوءا سنة (330هـ-941م) حيث وصل الروم إلى قرب حلب ونهبوا وخربوا وسبوا، وفي نفس السنة تمكن جيش المسلمين من ناحية طرسوس هزيمة الروم، حيث غنموا وأسروا عددًا من بطارقتهم المشهورين، وفي سنة (332هـ-943م) دخل الروم رأس عين إحدى مدن الجزيرة ونهبوها وسبوا من أهلها[3].

1- المصدر نفسه، 216/6، 217.

2- المصدر نفسه، 243/6.

3- المصدر نفسه، 288/6، 299.

المصادر والمراجع:

1- ابن الأثير، علي بن مُحَمَّد بن الشيباني (ت: 630هـ-1232م):
الكامل في التاريخ، تحقيق: كارلوس جوهانز، بريل ليدن 1871م، دار صادر، بيروت، 1965م.

2- ابن تغري بردي، أبوالمحاسن يوسف، (ت: 874هـ-1496م):
النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، تحقيق مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

3- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت: 597هـ-1200م):
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق مُحَمَّد عبدالقادر عطاء ومصطفي عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

4- ابن حوقل، أبوالقاسم، مُحَمَّد بن علي (ت بعد 367هـ-977م):
صورة الأرض، تحقيق كريمرز، بريل، ليدن، 1967م.

5- ابن خلدون، عبدالرحمن (ت:808هـ-1405م):
تاريخ ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

6- ابن كثير، عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ-1372م):
البداية والنهاية، تحقيق مُحَمَّد أبوملحم وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

7- الأصفهاني، حمزة بن الحسن (ت بعد 350هـ-960م):
تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، باعتناء غوتوالد.

8- التنوخي، المحسن بن علي (ت: 384هـ-994م):
نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي، 1971م.

9- الذهبي، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين أبوعبدالله (ت748هـ-1347م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1992م.

10- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت911هـ-1505م):
تاريخ الخلفاء، تحقيق مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطبع، القاهرة، 1975م.

11- ابن العبري، غريغوريوسالملطي، (ت 685هـ-1286م):
تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت.

12- الصابئي، أبوإسحاق إبراهيم بن هلال بن هارون (ت 384هـ-994م):
المنتزع من كتاب التاجي، تحقيق وشرح مُحَمَّد حسين الزبيدي، بغداد.

13- الصولي، أبوبكر مُحَمَّد بن يحيى (ت335هـ-946م):
أخبار الراضي بالله والمتقي، دون مكان، دون تاريخ.

14- الطبري، مُحَمَّد بن جرير، (ت: 310هـ-922م):
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق مُحَمَّد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

15- ابن الطقطقي، مُحَمَّد بن علي بن طبطبا (ت:709هـ-1309م):
الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، 1966م.

16- عريب، بن سعيد القرطبي (370هـ-980م):
صلة تاريخ الطبري، ملحق بكتاب الطبري الجزء الثاني عشر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

17- القلقشندي، أحمد بن علي (ت: 821هـ-1418م):
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، مجموعة محققين، دار الفكر، بيروت، 1987م.

18- مسكويه، أبوعلي أحمد بن مُحَمَّد (ت 421هـ-1030م):
تجارب الأمم وتعاقب الهمم، باعتناء مرغليوثوآمدروز، القاهرة، 1914م، أعاد طبعه المثنى- بغداد.

19- الهمذاني، مُحَمَّد بن عبدالملك (ت: 521هـ-1127م):

تكملة تاريخ الطبري، تحيق كنعان، بيروت، 1961م.

20- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبوعبدالله (ت 626هـ-1228م):

معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1995م.

21- آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: ترجمة مُحَّد عبدالهادي أبوريدة، القاهرة، 1957م.

22- حسام السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية (247-334هـ): مكتبة دار الفتح، دمشق، 1971م.

1- Amir Ali, Sayyid: “Short History of the Saracens.” (London: Macmillan & co. 1921.) “the spirit of Islamic. “London: Christopher’s. 1922